في عصوره الزّاهِرَة .[١]

وسوف نتوقّف قليلاً عند معارَضةٍ جديدة قام بها البارودي لبُردة البوصيري ، في القصيدة التي سمّاها – على طريقة القدماء – « كَشْف الغُمّة في مَدْح سَيِّدِ الأمّة »[٢] وهي مطوّلة تبلغ نحو أربعمائة وخمسين بيتاً من الشّعر . وقد كان البارودي – في محاولته تخليصَ الشّعر مِمّا كان يُثْقِلُه من زخارف البديع اللّفظيّ ، ويَحُفُّ به من الخُواء المعنويّ – يعمد إلى معارَضةِ النّماذج الجيّدة للشّعر القديم . وقد حفظ ديوانُه لنا معارَضاتٍ للنّابِغة الذّبياني ، وعنترة ، وأبي نُواس ، والبحتري ، والمتنبي ، وأبي فراس الحَمْداني ، والشّريف الرّضي . وكان يُحْسِن اختيار ما يعارضه من شعر ؛ إذ إن القصائد التي عارضها لهؤلاء الشُّعراء كانت من عُيون شعرهم ، ويؤكّد ذلك ما اتّسمت به « المختارات » التي انتخَبَها من الشّعر العربيّ من جَوْدة لا شكّ فيها ؛ فالبارودي كان ذوّاقةً للشّعر بصيراً بنقده . ومعارَضتُه لبُرْدة البوصيري تدلُّ على اقتناعه بجودة هذه القصيدة ، هذا بالإضافة إلى تديُّنِهِ العميق ، ولا سيّما في سنواته الأخيرة ، التي قاسى فيها الكثير من آلام المنفى، وفَقْدِ البصر وموتِ بعض أعِزّائه الأحِبّاء إليه.

ومطلعُ هذه القصيدة :

يا رائِدَ البَرْق يَمِّمْ دارَةَ العَلَم وَاحْدُ الغَمامَ إلى حَيٍّ بِذِي سَلَم

ونحن نرى في هذا المَطلع التّقليديّ ما عَهِدْناهُ في القصائد النّبويّة من ذِكْر المواضع الحجازيّة ، وإهداءِ التّحيّة إليها مع الرّيح والبَرْق ، على نحو ما كنّا نرى في مطالع الشّريف الرّضي ومِهْيار الدّيْلمي . ثم يمضي الشّاعر في

(١) حَوْل البارودي دراسات كثيرة ، يكفي أن نشير منها إلى كتاب الدكتور شوقي ضيف : البارودي رائد الشعر الحديث . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤ .

(٢) لم تُدْرَج هذه القصيدة في ديوان البارودي ، وطبعت مستقلة في القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ وهناك دراسة جيّدة لهذه القصيدة في كتاب الدكتور محمد حامد الحُضيري في كتابه « رسول الإنسانية محمد ﷺ في الأدب العربي الحديث » . القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ٢٥٩–٢٧١ .